صدى الحرية

أسبوعية ثورية اجتماعية

توعوية منوعة

للتواصل وإرسال المشاركات :

Facebook / SadaALhoryeh ** freequd@gmail.com

فريق QMT قدسيا الإعلامي

صدى الحرية | العدد 86 الجمعة 14 | تشرين الثاني | 2014

كـــش مـــلك

شباب الثورات

صناعة الوجهاء

الاستثمار في الخوف

الخنجر المنسل

سارق يفتي لنفسه

كش ملك

إزاحة الأسد والإبقاء على نظامه، عنوانٌ جديد لا يخرج عن دائرة التحريك السياسي للركود الطويل الذي مرّت به الثورة السورية على هذا الصعيد، الكلام جاء متزامناً مع مبادرة طرحها المبعوث الأممي "دي ميستورا" لإيجاد مناطق يتوقف فيها القتال تدريجياً للسماح بدخول المساعدات بشكل أكبر بدايةً إلى مدينة حلب، قبيل ذلك كان الترويج لشخصية جديدة تكون بديلاً عن الأسد وإن لم تأخذ ذاك الصدى الإعلامي الواسع، لكنها تؤكد التوجه للسعي وفق هذا الحل، هنا أتحدث عن سهيل الحسن "النمر"، بكل الأحوال فكرة الحل تمكن الأسد من خوض انتخابات المرحلة الانتقالية!!

ويأتي هذا الكلام كما في كل مرة تحت ضغوط يعانيها النظام السوري المفلس عسكرياً في كثير من الجبهات لاسيما آخرها في درعا وجبل الشيخ وريف حلب الشمالي الذي يحاول التقدم فيه دون تحقيق الهدف، وعلى ما يبدو فإن ميليشيا الأسد بدت عاريةً وحيدةً في ساحة المعارك في الوقت الذي لم يستطع فيه رأس النظام إلا أن يقف متفرجاً على جثث مؤيديه، في تجربةٍ مكررة لم يفهمها هؤلاء بعد.

لكننا نسأل عن سبب الحديث عن إمكانية إزاحة الأسد على الأقل كعنوان طرحته روسيا بتأييدٍ مصري في هذا الوقت الذي تتعاظم فيه قوة تنظيم الدولة "داعش" التي باتت القوى الأكبر في الكثير من المناطق، فهل أدركت الدول الغربية/العربية خطر بقاء الأسد وانه يعني التوسع في الحرب جغرافياً في وقتٍ قريب؟

من الواضح أن الأسد ليس مطلوباً لذاته، إنما هو البيدق الوحيد القابل للتحريك بأصابع خارجية على رقعة شطرنج تمتاز بالفوضى وكثرة المتصارعين، في الوقت الذي لم تقدم فيه المعارضة السياسية بديلاً "معتدلاً" يوافق الهوى الغربي/العربي أمام الخوف من تصاعد الخوف من الإسلاميين وخطرهم.

بناء على ذلك فإن هذه الطروحات مرفوضة جملةً وتفصيلاً، بل إنها لا تعني السوريين وأتحدث عن المجاهدين على جبهات القتال، وشخصياً لا اعتقد بوجود حل سياسي مقبول ويلوح في الأفق القريب لا يراعي مطالب الثوار وبالتأكيد الشعب السوري، بالتالي فإن أي مبادرة أو حل سياسي ما هو إلا فقاعة إعلامية غير قابلة للتطبيق و لا تنسجم مع القراءة الصحيحة للمشهد العسكري على الأرض، بل أكثر من ذلك لا يمكن أن تقبل الفصائل الإسلامية التخلي عن هدفها في بناء أولى لبنات الدولة الإسلامية، وأي كلامٍ عكس ذلك هو بعيد عن الواقع وقراءة خاطئة لما يحمله "المجاهدون" على الأرض السورية من أفكار تحولت إلى إطار التطبيق العملي في بعض المناطق.

فعلياً نظام الأسد منهار ويترنح أمام ما يتلقى من ضربات مؤلمة وغن كانت تبدو جروحاً بعين البعض قد يطول قطف ثمارها، لكن الواقع يؤكد أن بقائه ما هو إلا نتيجة عوامل الدعم الخارجي والتمسك به ريثما تتغير المعادلة فجأةً أو يتواجد البديل.

بالمقابل لم اسمع عن رغبة من الثوار بالتراجع يوماً رغم الألم الشديد وعمق المعاناة الإنسانية في ظل غياب أدنى ظروف البقاء في كثيرٍ من المدن.

إذاً لا وجود لطائف يؤدي بالوضع في سوريا إلى لبنان ثانٍ، بل على العكس فإن رقعة المعركة قد تتسع وستأكل الأخضر واليابس هذا طبعاً بالنسبة لبقايا الأنظمة العربية الفاسدة التي وقفت بصمت حيال ما يجري في سورية، ولن يكون التطرف هو الأداة التي تنتزع سلطة تلك الحكومات بل إنها يد التغيير الجذري الذي سيطال عالم الأفكار في المجتمعات العربية المتعاطفة أساساً مع السوريين والرغبة الجامحة في استعادة بناء الدولة الإسلامية، ولعل أي تطرف إن وجد سيكون أمام نهايةٍ حتمية أمام وعيٍ فكري إسلامي يحمله الثوار "المجاهدون" ولن تثنيهم العقبات عن الهدف.

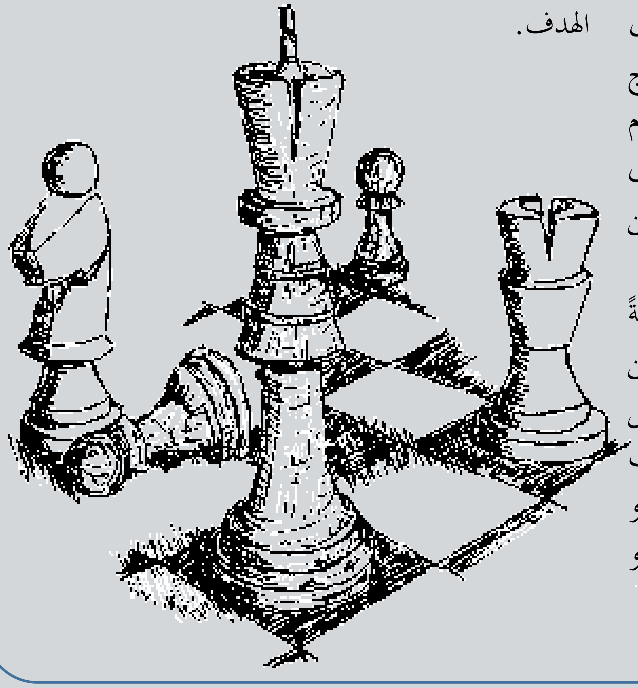

صناعة الوجهاء

عمل نظام حافظ الأسد منذ وصوله إلى السلطة بجدّ واجتهاد على تفكيك بنية المجتمع السوري بصورة خَفِيَّة وماسونيَّة مَدْرُوسَة، ولذلك سعى إلى أن يجعل المجتمع فقيرا إلى القدوة الصالحة في كلّ شيء، وانتشرت على ألسنة الناس خلال مرحلة حكم حافظ الأسد وابنه بشار الأسد عبارات تدلّ على هشاشة المجتمع المدنيّ وانتشار الفساد فيه على نحو كان يُنْذِرُ بأنّ هذه الحالة سوف تؤول يوماً إلى هاوية كبيرة جدا، وهذا ما حصل حين قامت الثورة السورية التي كشفَتْ كبارَ الوجهاء الذين بناهم آل الأسد لكي يكونوا كلاب النظام عند أي ثورة اجتماعية ضد النظام، ومن بين تلك العبارات التي أطلقها بسطاء الناس لتدل على انتشار الفساد في رؤوس وجهاء المجتمع السوري: (عوجه ويا ما رح نشوف) وعبارة (كلب السلطان سلطان) وغير ذلك مما يدلّ على أنّ نظام (آل الأسد) نشرَ فوضى عارمة في المجتمع السوري على كل صعيد.

من أهم المؤسسات التي دمَّرها آل الأسد خلال سنوات حكمهم كلّها: مؤسسة الجيش والمؤسسة الدينية ومؤسسات الدولة الاقتصادية، وكلنا يذكر أن حافظ الأسد لم يَشْغَل الجيشَ السوريَ بمحاربة إسرائيل بل كان شَغَلَهُ بنشر الفساد والقهر ومحاربة حجاب النساء السوريات في الثمانينات بدءا من حماة في الشمال إلى دمشق في الجنوب، فانتشر جيش سرايا الدفاع الذي كان في عهد حافظ الأسد ليقوم بمهمة نزع حجاب المحجبات في شوارع دمشق وغيرها من المدن السورية، هذا الجيش لم يكن يوما في تاريخه البعثي جيشاً سورياً، بل كان جيشاً تابعا لجملة من كبار الضباط الذين يقودهم قوّاد اسمه رئيس الجمهورية القائد العام للجيش والقوات المسلحة. في تلك المرحلة كان جيش النظام يرسّخ في النظام التعليمي وفي النظام الاجتماعي كل مبادئ الفساد لكي يتفرغ آل الأسد لسرقة اقتصاد البلد، وسعى إلى ذلك من دون أن يمنعه مانع، ولنجاح المهمة زرع حافظ الأسد في المؤسسة الدينية المفتي(كفتارو) الذي كان ولده تاجراً للمخدرات في ذلك الوقت، أمَّا الذين وقفوا في وجه النظام من علماء الشام فقد استشهدوا في معتقلات الأسد، لكنَّ بعض علماء الشام الآخرين قالوا كلمة الحقّ وَفَرُّوا خارج البلاد فنجوا بأنفسهم خوفاً من بطش حافظ الأسد، فهرب أولئك العلماء إلى دول عربية مجاورة معروفة، وكانت تلك الدول العربية المجاورة في ذلك الزمان تصف نظام حافظ الأسد ظاهريّا بأنّه (نظام بعثي كافر) لكنها كانت تقيم معه علاقة متعة حمراء أدّت إلى عقد اتفاق الطَّائف الذي سمح لحافظ الأسد أن يدخل بالجيش السوري الذي خَرَبَ سوريا إلى لبنان ليكمل مهمَّة تخريب لبنان، وبقي حافظ الأسد في لبنان سنوات طويلة بمباركة عربية من دول الجوار، وعاثت قوات سرايا الدفاع وقوات المخابرات السورية وكبار ضباط الأسد فساداً في لبنان بغطاء عربي مثلما عاثت فسادا في المجتمع السوري، وبعد عودة ضباط الأسد إلى دمشق في عهد بشار الأسد عَقِبَ انسحاب الجيش السوري والأمن السوري من لبنان عادت قوات الأمن لإحكام قبضتها على الشعب السوري بعد أن كانت مشغولة بنهب لبنان، فَفَرَضَتْ سيطرةَ الفساد والإفساد على المجتمع كلّه، واجتهدَتْ في نَشْرِ الفساد من جديد بطريقة أكثر حرفية في مؤسسات الدولة وبسطَتْ (يد رامي مخلوف) وغيره في لقمة الشعب السوري المسكين بحجة الانتقال من النظام الاشتراكي الذي كان أيام حافظ البائد إلى نظام سوق العمل المفتوح الذي سَوَّقَ له بشار الولد، وشيئا فشيئا اتَّسعَ بطنُ الدولة لكل شيء، واتسع الخرقُ بين الشعب المضطهد وبين حرامية الوطن في مؤسسات القطاع العام، ولتغطية ذلك سعى النظام إلى بث رؤوس المفسدين في مراكز القوى من الدولة، وكانت قاعدة التعيين في تلك المناصب تقوم على ترشيح الفاسد الأكبر ليرأس المؤسسات العامة الفاسد الأصغر، في حين يقوم الفاسد الأصغر بترشيح معاونيه الإداريين من جملة الفاسدين المعاونين، بناء على قاعدة (الحرامي يحمي الحرامي) فانتشروا كالسرطان في بنية مؤسسات الدولة كلها من دون استثناء، وهكذا تحوَّلت الدولة كلها إلى مافيا مؤسساتيّة، حتى المؤسسة الدينية لم تكن ناجيةً من هذا الفساد، فمثلا خطبَ أحد الشيوخ المنافقين قبل الثورة بعشر سنوات في مسجد من مساجد بلدة متواضعة، ثم قام بعض العلماء من أهل تلك البلدة بالتوجّه إليه وأعلنوا له أنهم يرغبون أن يخطب في مسجد البلدة واحد من أهل البلدة، وبوصفه غريباً عن البلدة يكفيه ما فعله من تفرقة بين عائلات البلدة وتَحَزُّبَات

دينيَّة، فقال ذلك الشيخ المحترم الذي كان يعمل في بنك ربوي في دمشق في السنوات الأولى لمزاولته لمهنة شيخ البلدة مع أنه ليس من أهلها أصلاً، بل دخل فيها غريبا ونخرها كالسوس، كان جوابه لهم قبل عشر سنوات: ((تعييني في المسجد بأوامر من القيادة وليس منكم)) في ذلك الوقت لم يكن بشار الأسد يعرف ذلك الشيخ ولم يكن اللقاء السعيد حصل بينهما، والشيخ المحترم لم يقصد بعبارة ((القيادة)) أنَّ بشار الأسد هو من عَيَّنَهُ شيخ الجامع، لكنه قصد بكلمة (القيادة) أنَّ تعيينه جاء بأمر من أحد ضباط المخابرات في فرع المنطقة المعروف بدمشق، ونتيجة صلته به وتَرَدُّده عليه (لشرب القهوة مع دفعة من التقارير الأمنية عن فلان وفلان من أهل البلدة!!!) صار ذلك الشيخ بعد قيام الثورة معروفاً عند رأس الدولة بشار الأسد لأنَّ الفاسد الصغير يكبر شيئا فشيئا ليصبح مؤهَّلاً لموقع الفاسد الكبير لدى سيِّده الشيطان الأكبر، وهكذا يصبح الشيخُ مُفتيًّا، فهل عَرَفْتُم كيف يصنع النظامُ وجهاءَ كلّ بلدة، هكذا تصنع الأنظمة الطاغية وجهاء القرى ووجهاء المدن ووجهاء المحافظات، ووجهاء البرلمان، ووجهاء التجار، وكلّهم في سوق القوَّادين عاهرون، ومن أراد أن يكون وجيهاً عندهم يجب أن ينتمي إلى نادي العراةِ من كلّ الأخلاق الحميدة، وأن يكون مستعدا لكي يخطب خطبة العيد على منبر رجل شرب من دماء الناس من دون أن يغطي سَوْءَتَهُ بورقة توتٍ واحدة من دون حياء.

الخنجر المنسل

لم يكن المسلمون في عهد النبي صلى الله عليه وسلم متفوقين على الأعداء بالعتاد والرجال ولا كانوا ذوي حروب ضخمة متوارثة, إنما كانوا أصحاب عقيدة ومبادئ ثم ما كانت مقومات الانتصار هي المعتمد ولا كان الانتصار هو الغاية وإنما كانت الغاية هي فتح القلوب وإزالة الحجب الكثيفة عنها ليصل شغافها هدى الله سبحانه ولرفع الظلم الواقع على العالم من فساد دينهم.

وهذه حال المجاهدين اليوم الذين التجئوا إلى الله فكان هدفهم التخلص من الظلم والطغيان الواقع على أعناقهم والتحرر من الاستبداد الذي طالما كان الخنجر المنسل على الرقاب، فاستعانوا بعون الله والإخلاص إليه وبتطبيق شريعته أينما وصلوا.

لم يكن الجهاد مجرد كلام متداول بين المقاتلين وإنما كانت أفعال يطبقونها بينهم.

بل كانت القوانين المطبقة والأنظمة التي يمارسون بها أسلوب قتالهم هي العامل الأساسي في نجاح قتالهم وتغلبهم على عدوهم فقد كانت عقيدتهم ذات الطابع الإسلامي محط أنظار جميع العالم.

فالعالم الغربي والعربي لن يرضى بهذا التطور الذي نراه في الآونة الأخيرة من تقدم المجاهدين الإسلاميين في أرض سوريا فهم يعلمون كل العلم بأن تطبيق الدين الحنيف يعني زوال كل القيم والمعاني المنحلة في المجتمعات وبالتالي زوالهم في النهاية. فهم يعتبرون من التاريخ ومن الحوادث التي مرت منذ عصور وقرون فلا يخفى عليهم سيرة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين كيف استطاعوا فتح الأراضي الشاسعة بفضلٍ من الله وتطبيق دينه. ومع كل هذه الأحداث التي نراها اليوم من صدق أولئك المجاهدين الذين تركوا حياتهم دفاعاً عن أرضهم ودينهم وعرضهم إلا أن هناك من أعرض عن التفكير والعمل في هذه المجريات التي نعيشها مدعياً بقوله "ما إلي علاقة" مبتعدا بكل إرادته. أما أن لهذه النماذج أن تعتبر من تاريخنا الغابر ليكون خارطة طريق

شباب الثورات.. ودرس التغيير

نبيل شبيب

من أين جاءت تلك "المفاجأة" الكبيرة إزاء ما صنع شباب الثورات العربية، وكنا –نحن الذين تجاوزنا مرحلة الشباب.. ونتحدّث عنه- نرى الشباب القوي بأعيننا الكليلة، ونتابع أفكاره الوليدة المحلّقة في العلياء بقوالب أفكارنا المشدودة إلى الأرض، ونقيس مشاعره وأحاسيسه المتوهّجة مضاء وتفاعلا مع قضايانا وعالمنا وعصرنا الآن بمعايير انشغال بقايا حماستنا ببقايا خلافاتنا المستمرة المتوارثة على تعاقب العقود المتوالية من أعمارنا، وننتقد وسائله وأساليبه في التلاقي والتنادي والتحرك والعمل، لأنّه لا يخضعها لحكمة وصايانا وسداد نصائحنا وعصارة تجاربنا وبُعد نظرنا، وما دام لا يقيّد مساره بتوجيهاتنا فهو شباب متمرّد، وما دام لا يتحرّك من ورائنا فقد غلب عليه الموات، وكلما رصدنا منه فريقا يغنّي ويصفّق عمّمنا عليه وصمة الانحلال والضياع.. ثم رأينا "فجأة" أن "هذا الشباب".. صنع ثورات، وربما لا يحمل الآن وحده مسؤولية وقوع أخطاء في مساراتها المتعددة.

فاجأنا ما صنع الشباب وعمّمنا على ما يصنع –بقصد ودون قصد- وصف ثورة الغضب، والشعب الغاضب، والتعبير الغاضب.. ويغلب على فهمنا للغضب أنّه يعني التصرّف دون ميزان عقلاني، بما تمليه العاطفة، وما تصنعه اللحظة الآنية، وما لا ينضبط بحدود، وتعلّمنا في هذه الأثناء أنه يمكن أن يصنع التغيير أيضا.

وقد عرفنا من قبل عبر التاريخ ما يعنيه غضب الجائعين في الثورة الفرنسية وما كانوا يمارسونه من انتقام بلا حدود ولا ضوابط، وعرفنا ما يعنيه غضب الحزبيين الشيوعيين تجاه القيصرية الروسية وما مارسوه من سفك للدماء بلا حساب، بينما علّمنا ثورات شبابنا أن الهمجية بكل أشكالها صدرت عمن يريد قمع الثورات أو سرقتها.. وليس عن الثوار الصادقين.

كم اعترض بعضنا على تحذير بعضنا من تشبّث جيل الشبيبة بطريق جيلنا من الشيوخ والكهول وعلى وصف أنفسنا بأننا "جيل عصر النكبات"..

كم شدّد المعترضون على ذكر بعض ما أنجز ذلك الجيل.. رغم النكبات

صحيح أن "بعض ذلك الجيل" أنجز "بعض الواجب"، إنّما لم يكن كافيا وافيا، ولا منع استمرار الكوارث على منحدر عصر الانحطاط، ولا يغني ما صنع عمالقته الكبار ومصابيحه الهداة عمّا لم يصنعه سواهم من جيلنا.

ولكن يجب أن ندرك ونحن نعايش حقبة التغيير بين عصر النكبات وعصر جديد بإذن الله.. أن على جيلنا أن يتخلّى عن مواقع القيادة والتوجيه لجيل جديد قادر على صنع ما نتمنّاه ونصبو إليه ولم نستطع صنعه حتى الآن، فالراية الآن رايته، والراية غداً رايته، وبقدر ما يتشبّث جيلنا نحن بإمساك الراية بأيدينا، بقدر ما نعيق تقدّمه لتحقيق ما نريد ويريد.

كما يجب أن نثق بجيل المستقبل، وبأنه سيجد الطريق لتجاوز ما يواجهه من عقبات، والتغلب على ما انتشر من حدود العداء له في مختلف الجبهات..

من أهمّ دروس الثورات وطريق التغيير الذي فتحت بوابته، ضرورة انتقال رايات القيادة ومواقع صنع القرار من جيل إلى جيل في الوقت المناسب، قبل أن تتحوّل النخب إلى مجموعات هامشية كأنها من كوكب آخر.. مثل حال فئات ممارسة الاستبداد في بلادها، وقبل أن تتكلّس وتتصلّب الأحزاب والجماعات والتنظيمات مثلما تتصلّب أجهزة الفساد والاستبداد في مواقع احتكار السلطة.

القيادة أمانة وتكليف، وليست ميزة وتشريفا، والقيادة مسؤولية جليلة وليست غنيمة، وإن القيمة النوعية للقيادة في كل إنسان ترتفع بقدر ما يستوعب أهمية انتقال زمامها من يديه إلى أيدي سواه في اللحظة المناسبة الواجبة، ومن يستوعب هذا الدرس يساهم في تحقيق مصلحة أمته، ومن لا يستوعبه لا بد أن ينزلق –وإن أخلص- في ارتكاب خطأ جسيم بحق نفسه وبحق مصلحة أمته.

مثل هذا الدرس هو ما عجز بقايا الطغاة عن استيعابه قبل أن يفوت الأوان عليهم، فثارت الشعوب عليهم.. وهو أيضا الدرس الذي ينبغي أن يدركه الثوار في طريقهم إلى النصر والتغيير بإذن الله، فلا يكرّرون في طريقهم ولا في المستقبل أخطاء من سبقهم، فآنذاك تتحول زعاماتهم –وإن حققت إنجازات- إلى أوضاع توجب الثورة عليها أيضا.

الاستثمار في الخوف

تجتمع نسوة الحي في الظهيرة أمام منزل إحداهن لملاقاة أشعة شمس تشرين الثاني الدافئة، للعام الثالث على التوالي يحل الشتاء سريعاً، أو بالأصح يهرب بردٌ من ميعاده في كانون الثاني، ليباغت السوريين قبل الأوان، في الخريف.

وللعام الثالث على التوالي أيضاً لا يجد السوريين في المدن، والقرى، والمخيمات ما يقيهم، ويبعد عن أبنائهم هجمات الصقيع، التي تفوق قسوتها، ويتجاوز عنفها غارات الطائرات، ولهيب المدافع في بعض الأحيان.

وصلت أزمة المحروقات في البلاد إلى مستوياتٍ قياسيةٍ، لم تبلغها من قبل، وتكاد تختفي من الأسواق بشكلٍ شبه كاملٍ، مادة ''الديزل''، التي تستعمل لتشغيل السيارات، والأفران، وآلات المعامل، والمدافئ المنزلية، بالتزامن مع ارتفاع أسعار مادة ''البنزين'' حتى بلغ سعر الليتر رسمياً (181,25) ليرة، أي ما يعادل (1) دولار، في بلدٍ يبلغ متوسط أجر عماله (100-150) دولار شهرياً، أما الكهرباء فيمر أحياناً أسبوعٌ كاملٌ دون أن يراها المواطنون في بيوتهم، فيما غاز الطهي مفقود بصورةٍ كبيرةٍ.

يعلل النظام أسباب الأزمة، بما يسميها العمليات التخريبية التي ينفذها ''الإرهابيون'' ضد المنشآت الحيوية، ومراكز تخزين، وتوزيع المواد البترولية، وطرق النقل، والعقوبات الاقتصادية التي فرضتها الدول المتآمرة، وسيطرة الإرهابيين ولا سيما تنظيم الدولة ''داعش'' على آبار، وحقول النفط، وأخرها السيطرة على حقل "الشاعر" للغاز، في ريف حمص الشرقي، والذي ترافق مع اختفاء مادة الغاز من الأسواق.

على أن الأسباب الحقيقية تختلف عما يعلنه إعلام النظام، فالمتابعون للشأن الاقتصادي، والأداء الحكومي يوردون تعليلاتٍ مغايرةٍ، فسبب الأزمة ـ برأيهم ـ هو تخصيص النظام لجميع موارده لضمان استمرار آلته الحربية، ولإصراره على عقاب المواطنين جماعياً، باستغلاله حاجات الناس للسلع، والموارد، والمحروقات، واستخدامها للضغط عليهم، وتركيعهم، ولسياسات الكيل بمكيالين، حيث تتمتع المناطق الموالية له ـ العلوية خصوصاً ـ بوفرة نسبية، ودائمة في المواد الأساسية، وتكون للأزمات فيها طبيعة مختلفة من حيث الشدة، والمدى عن تلك التي تضرب المناطق الثائرة، كما ويؤدي وجود مافيات الاحتكار، وتجار الحروب، والفساد الحكومي، والشلل المؤسساتي، دوراً مهماً في خلق الأزمات، وتعميقها.

والأرجح أن النسوة الجالسات تحت أشعة الشمس، واللاتي كن يحلمن، أو يتأملن على ما يبدو سقوط النظام، قبل استحكام البرد، لم يكنَّ يفكرن بأسباب الأزمة، ذلك أنهن كنَّ متأكداتٍ أن لمصائبهن، وآلامهن سببٌ واحدٌ، وأساسيٌ، اسمه "بشار الأسد"، ولا حاجة بهن لمعرفة ما هو أكثر، كما أن لاجتماعهن اليوم سببٌ خاصٌ أهمٌ، كنَّ هناك لمواساة جارتهن ''الأرملة'' التي سافر عنها ابنها الثاني، بصحبة زوجته، وولديه صباح ذلك اليوم إلى تركيا، بمعاونة أحد المهربين..

إحدى اللواتي سافر ثلاثةٌ من أبناءها خلال السنة الأخيرة، جلست إلى جانب ''الأرملة''، وحاولت مواساتها بكلماتٍ مكررةٍ، وممجوجةٍ، ربما لأنها كانت هي نفسها غير مقتنعة بما تقوله، فالنظام لم يكن يترنح، ولا يبدو أنه توجد نهايةٌ وشيكةٌ للحرب، والذين يسافرون لن يعودوا غداً، وربما، ولا بعد حين.

في الآونة الأخيرة ارتفع عدد المغادرين للبلاد، وخاصةً من الشباب، بسبب ما يتم تناقله عن طلب المسرحين من خدمة العلم، إلى الخدمة الاحتياطية، وتقول الروايات ـ غير الرسمية ـ أن كل من أدى خدمته العسكرية، وهو من مواليد العام 1973، فما فوق، ستتم دعوته إجبارياً للخدمة في صفوف الاحتياط.

لكن ما الذي يستهدفه النظام من وراء مثل ذلك القرار؟ وما هي أسبابه، أو دوافعه؟

يقول بعض المحللين، والمتابعين المعارضين، أن أسباب القرار هي ببساطة لتعويض الخسائر البشرية التي يتكبدها جيش النظام، وأجهزته الأمنية، في المعارك الدائرة مع قوات الجيش الحر، والفصائل الإسلامية، و"جبهة النصرة"، وتنظيم الدولة.

وتبدو تلك الحجة منطقيةً، ومقنعةً لولا أن واقع الأمور، ومجريات الأحداث لا تؤيدها، فالنظام في الواقع لا يعاني على صعيد العنصر البشري، رغم كل خسائره، وهو أصلاً لا يقيم وزناً للبشر، ولا تكف ميلشيات القتال المحلية عن الظهور، والأجنبية بالتوافد، والانغماس في القتال لصالحه، وفوق ذلك فالنظام لم يستخدم كل قواته العسكرية، والمعروف أن ألويةً، وكتائب، وأفواج من جيشه لم تشارك في القتال حتى الآن، وإن كانت ذريعة تبرير عدم إشراكها، أنها غير مضمونة الولاء، فهل من المعقـــــول والحال

كذلك، استدعاء الاحتياط، الذين يحتمل أن يكون الكثير منهم ضد النظام، بل وربما حمل بعضهم السلاح ضده، بدل استخدام القوات العاملة؟ التي وإن كانت غير مضمونة الولاء، إلا أنها وبالتأكيد خاضعة للسيطرة، والضبط، والمراقبة شديدة؟

لذلك، سنقترح أسباباً، ودوافع أخرى مختلفةً عما يبديه المعارضون، منها:

- يسعى النظام إلى الخلاص من أعداء دائمين، ومقاتلين مستقبليين محتملين ضده، من خلال استدعاء الشباب للاحتياط، وهم إذ ذاك، أمام خيارين: تلبية الدعوة، وبالتالي وقوعهم في قبضته، وخضوعهم لرقابته المباشرة، فيزج بهم في الحرب ضد أعداءه، ويضرب بذلك عدواً قائماً، بعدوٍ محتملٍ. التهرب من تلبية الدعوة، والسفر، أو الفرار خارج البلاد، وبذلك يتخلص من خطرهم، وفوق هذا، ينقل أعباء تكاليف حياتهم، واستهلاكياتهم، وتأمين خدماتهم إلى الدول الأخرى، التي يتهم أكثرها بالتآمر ضده.

- يحاول النظام التأثير في التركيبة الديموغرافية للمجتمع السوري، أو ما تبقى منه، وهو يرغب ولا شك في تغيّر موازين النسب السكانية لفئات طائفية محددة، بدفع مغادرة شبابها تحديداً للسفر، وهو ما يقع بالفعل، وبالنظر إلى أغلبية السوريين المهاجرين، لا بد أن نلاحظ أن غالبيتهم من الشباب، ومن السنة تحديداً، وقسمٌ لا بأس به منهم، معارضون له، فيما لا يهاجر شباب الطائفة العلوية بالنسب ذاتها، ولا يكف الشيعة عن التطوع، والقدوم إلى البلاد.

ـ وأخيراً يسعى النظام للاستمرار في إتباع سياسة ''الاستثمار في الخوف''، فالخوف، والترهيب من أهم الأدوات التي مكنته من حكم البلاد لما يزيد على الخمسين عاماً. كان الناس قبل الثورة يخافون من التفكير، والأحلام، والتعبير..

تغير الحال بعد الثورة، ولم يعد الناس يخشون أياً من ذلك، أعادوا اكتشاف أنفسهم، وحرروا إراداتهم، وامتلكوا زمام أمورهم، وحللوا واقعهم، وأزماتهم، وعرفوا أسباب مصائبهم، ومشكلاتهم، وأصبح الطريق إلى التغيير، والثورة واضحاً أمامهم، والنظام بات يعرف ذلك، كما بات يعرف أيضاً أنه لن يستطيع إعادة عقارب الساعة إلى الوراء، وأن كل ما يملكه الآن هو إغراقهم في مخاوف، وهواجس، وظلاماتٍ أخرى.

الخوف من الموت، والاعتقال، والقصف، والجوع، والبرد، والتطرف، وغيره، هي ما يحاول جاهداً أن يصد أحلامهم، وآمالهم، وتطلعاتهم به، وهو في المدى القصير، والمنظور يحقق نجاحاً نسبياً، أما على المدى البعيد فمما لا شك فيه أنه سيفشل، وينتهي.

لم يطل المقام بنسوة الحي في شمس الخريف، فقد جاء خبرٌ أن النظام أغلق طرق المدينة، فانصرف جمعهن على عجلٍ، بمن فيهن ''الأرملة'' نصف الثكلى، للاستعداد لحصارهن الجديد.

سارق يفتي لنفسه والاتجار بحقوق الإنسان

محمد المزرعاني

جرت العادة في بلدنا إبان حكم حزب البعث وعلى رأسه الطغمة الحاكمة، أن يستثنى أصحاب النفوذ وأصحاب الرتب والمال وخاصة المفسدون والمؤذون منهم، وذلك في مجالات المكاسب والعطاء. فيأخذون قبل غيرهم ما تسمى حقوقهم وذلك في تسيير أوراقهم الرسمية وطلباتهم في الدوائر الحكومية وحصتهم من الخبز على الأفران وإعاشاتهم على الجمعيات المختلفة ومحطات الوقود...إلخ وذلك كله بالتفضيل على المواطن العادي الذي هو أحوج منهم لهذا الحق وهذه الخدمة، إذ إنهم اقدر منه على الصبر من حيث إمكاناتهم. فإلى متى سيظل هذا المجتمع عبداً في خدمة هذه الشريحة وهذه الطبقة من الناس المستغلين الذين لا يرون حقوق الآخرين ولا احتياجاتهم، ولا يقدرون ظروفهم وإمكاناتهم. فأيها العبد الخادم ضع نظارات الرحمة والمساواة على عينيك وأنظر بعيون من نور وقدم للناس احتياجاتهم بنور الله لكي تحصل على الحسنة بدل السيئة. وأنت أيها المتنفذ والغني والقوي، قدّم الفقير والبسيط عنك في تلبية الحاجات ليس إيثاراً وتكرماً بل إعطاءً للحق وتنفيذاً لشكل من أشكال الحضارة والرقي، فإن لم تحصل على الأجر، فإنك في ذلك لن تحصل على السيئات والشتائم في السر وفي المجالس العامة والخاصة، ورحم الله امرئً جب المغيبة عن نفسه. فيا أيها القائمون على مقدرات الناس وخاصة في معاشهم وقوتهم اعلموا بأن تاجر العقارات وعضو المصالحة ورئيس المصالحة ورئيس البلدية وأعضائها وأعضاء اللجان الشعبية وقواد الجماعات والكتائب ومن يضع سلاحه على خصره...إلخ ليسوا خيراً من الآخرين وليسوا أحوج من الآخرين، فارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء، والشكر موصول لمن يستمع القول فيتبع أحسنه.

مولانا أبو بكر البغدادي
يرد فيس بوكياً ويدعو للهجرة على (الجمال)

ل.ن

ظهرت داعش، تصدرت الشاشات، وبلا سابق إنذار، سرقت الأضواء، ونافست أهم القضايا والمواضيع، حتى باتت أخبارها، العنوان الأول في نشرات الأخبار، أما بقية الأسئلة (متى، كيف، أين، لماذا؟)، فلا مكان لها، إنها داعش، ويكفي!

أذكر إنني قرأت اسمها في صفحةٍ ناقدة على الفيس بوك، في تعليق (رحنا دعوشة)، وظننت أنها مزحة من النوع الثورجي الجديد، لاحقاً عرفت أنها مزحة من النوع الثقيل جداً، حتى أن اسمها المختصر، تجاوز الحقيقي (الدولة الإسلامية في العراق و الشام)، ربما لأنه لا حقيقة في ذلك أبداً.

ويبدو أنها تسعد بشهرتها وقدرتها على تقديم غير المألوف أينما حلت، لذلك لا تنقطع أخبارها، من التفنن في القتل والاجرام، بين صلب وقطع رؤوس وذبح، إلى ما تصدره من أحكام وفتاوى وأنظمة، بعضها يرقى إلى الجنون أحياناً، ومع ذلك لم تنجو، من بعض النكات التي تناولتها.

ولفرط المفاجأة، لا مجال للحسابات، في تقدمها وانتصاراتها، فهي ببساطة، تفوقت على الجميع، وأذهلت المؤيدين كما المعارضين، وإن كنت أميل، إلى أنها من صناعة النظام وداعميه، فظهورها كارثي بحد ذاته، لا يضاهي أسوء التوقعات لمستقبل سورية، ويسير بنا إلى حيث ندري ولا ندري.

إنها داعش، تتدفق الفيديوهات المرافقة لها، وتبرع في نشر الذعر، قبل أن يتوقع أحد قدومها، وهنا يكمن السر، فمن قال إنها في تقدم مستمر، ومن أكد أنه لا يمكن للجيش الحر، محاربتها، من قال إن السوريين سيسكتون على ما تقوم به!!!، بالتأكيد كثر انضموا لها، وآخرون مارسوا أفكارها، حتى قبل أن تظهر، ومن جميع الأطراف، لكنها لن تجد مكاناً بيننا، لنقل إن التاريخ لن يكرر نفسه، ولن نقبل بطاغيةٍ جديد.

لكن ما الذي تريده داعش، متى تعلن نصرها أو هزيمتها؟، ربما لا تدري هي نفسها، يكفيها ما يحصل من حولها، ولأنني لا أقتنع بما تقدمه وسائل الإعلام عادةً عن الجماعات الإرهابية أو المتطرفة، أو أياً كان توصيفها، وأرى أن الحقائق، قد تكون أبسط بكثير، لا أرى نصراً أو هزيمةً لها، بمعزلٍ عن سورية، بمعنى أننا نحن من نعلن ذلك ونصنعه، ولا أحد سوانا.

في صفحةٍ فكاهية ناقدة، حملت اسم خليفتها أبو بكر البغدادي، على الفيس بوك، دعا القائمون عليها، أنصار داعش الراغبين بالهجرة للتجمع، مكان انطلاق قوافل الجمال، وسأله أحدهم (مولانا أبو بكر، إذا تأخرنا، ممكن تنطرنا القافلة، وجاءه الرد: رح نشحطك شحط يا كافر)، ويبدو أن آخر، كان يقرأ منشورات الصفحة، ولا يعرف أنها ليست صفحة ناطقة باسم الخليفة كما يبدو للنظرة الأولى، وبدأ هجوماً طويلاً، إلى أن جاءه الرد (يا أخي شبك، نحنا صفحة للضحك، يعني مو داعش نفسها)!.

واللافت أن داعش تنجح يومياً، في التأكيد على أن لا علاقة لها بالإسلام والمسلمين، وحتى أبسط تفاصيل الإنسانية، وإلى أن تُثبت عكس ذلك، نأمل ألا تكتسب شهرةً إضافية، على حساب السوريين. صفحة للضحك، يعني مو داعش نفسها)!.

واللافت أن داعش تنجح يومياً، في التأكيد على أن لا علاقة لها بالإسلام والمسلمين، وحتى أبسط تفاصيل الإنسانية، وإلى أن تُثبت عكس ذلك، نأمل ألا تكتسب شهرةً إضافية، على حساب السوريين.

كاريكاتير العدد